

وفاءً لمجموعة منسية بظلة من شهداء الوطن

أحداث جرت في العراق في ستينيات القرن الماضي

مؤيد الالوسي (آيار 2010)

المقدمة

لم استطع للأسف كتابة هذه الشهادة في الفترة الماضية، بسبب الظروف الأمنية وحرصاً على سلامة المعنيين وعوائلهم. وبعد سقوط النظام الفاشي وخلال زيارتي الى بغداد في ربيع 2004، التقيت بالصديق العزيز سمير فريد وكانت له علاقة بجريدة طريق الشعب، وتحدثنا حول الموضوع وضرورة توثيق هذه التجربة. فعلاً كتبت له بشكل مستعجل المعلومات الأساسية من أجل صياغتها صحفياً. ولم تتم مواصلة الموضوع لاضطرار الصديق سمير إلى مغادرة الوطن بسبب الظروف الأمنية التي فقد فيها وللأسف ابنته. أعدت لاحقاً كتابة الموضوع بشكل أكثر تفصيلاً وتوضيحاً، وعرضته على خمسة أصدقاء ممن عايشوا الأحداث وكانوا فاعلين فيها وذلك ل لمزيد من تسليط الضوء على هذه التجربة (مداخلات الاصدقاء مرفقة).

الأحداث كما أتذكرها

في ستينيات القرن الماضي، وبالتحديد بين عامي 1963-1968، وفي خضم وضع دولي ينتابه صراع شرس بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي. وحيث كان هذا الاخير يعاني كثيراً من الخلاف السوفيتي الصيني، إضافة إلى بروز الدور المتميز للثورة الكوبية على مستوى الاحداث العالمية والشعبية، وصعود نجم قائدها فيدل كاسترو و الرجل الثاني فيها تشي جيفارا، الذي اتخذت شخصيته أبعاداً اسطورية في قلوب الشباب نتيجة زهده بالسلطة وتوجهه الى مواقع اخرى في الكفاح. ويضاف إلى كل ذلك الانتصارات التي كانت تحققها فيتنام الشمالية وفصائل الفيتكونك الجنوبية في مجابهة القوات الامريكية الغازية. إن كل هذه ال عوامل ساهمت بشكل كبير في تنامي الحركة اليسارية في العالم أجمع. ولكن الوضع في العراق كان مختلفاً حيث كنا نعيش في ظل ظروف صعبة جداً بعد انقلاب شباط الاسود

والحملات الدموية التي طالت الحزب الشيوعي العراقي ومجمل الحركة اليسارية والوطنية . كانت بداياتنا في تلك الفترة في كلية الهندسة جامعة بغداد، حيث تكونت علاقات صداقة عفوية أساسها الدراسة المشتركة و الارتياحات الاجتماعية والانسجام الفكري العام الذي اخذ بالتبلور نحو تصورات سياسية مشتركة . وكان لسقوط سلطة البعث في تشرين 1963 وتراخي القبضة الامنية في عهد الأخوين عارف دور كبير في تطور هذه العلاقات الى أبعاد سياسية مشتركة. ابتدأنا بنشاطات اجتماعية (حفلات، سفرات، مساعدة الطلبة الجدد)، وتنامت بعد موافقة عمادة الكلية على تشكيل جمعية للموسيقى وتوفير غرفة خاصة بها حيث أصبحت المكان المناسب لالتقاء عدد من الطلاب والتحاور وتبادل الاراء اضافة إلى سماع الموسيقى والكلاسيكية منها خاصةً. وقد كان الشهيد سامر مهدي الأبرز بيننا لدوره المتميز في تشكيل الجمعية وتوفير المكان المناسب لها كونه يجيد العزف على العود ، إضافة الى امكانياته في المجال الدراسي ، حيث كان من المتفوقين و سعة قراءته، كل هذه الامور وأمور أخرى أهلته للقيام بهذا الدور.

تطورت علاقاتنا مع مرور الوقت الى قراءات مشتركة من خلال تبادل الكتب ومناقشتها بشكل جماعي . ومن أهم الكتب التي تم تداولها كتب نجيب محفوظ (اولاد حارتنا، ثرثرة فوق النيل ، الثلاثية ، ميرمارالخ) إضافة إلى كتب سياسية مثل "ما العمل" للريزين و"ثورة في الثورة" لدوبريه ومذكرات جيفارا وكتاب لجياب و زير الدفاع الفيتنامي عن التجربة الفيتنامية وغيرها . كما تداولنا مجلة الكاتب المصرية ومقالاتها حول اليمين واليسار في الاسلام للكاتب احمد صالح وقصتها المتسلسلة (الاخوة الاعداء) للكاتب اليوناني كزنزاعي وكتب اخرى . لقد ساهمت هذه القراءات في صقل معارفنا وبلورة توجهاتنا الفكرية. وقربت المناقشات التي كانت تدور حول هذه القراءات في الرؤى المشتركة بيننا . توجه البعض منا الى العمل السياسي المنظم ، حيث تم تشكيل تنظيم اتحاد الطلبة في كلية الهندسة في عام 1965 بمبادرة من الزميل الفقيد عطا فاضل الخطيب، والذي عرفنا لاحقاً انه كان عضواً في الحزب الشيوعي. عقد الاجتماع التأسيسي لاتحاد الطلبة بحضور كل من عطا الخطيب ، مصطفى العاني ، كاك عثمان من قسم الكهرباء ، سعدون كمونة ومؤيد الالوسي . ومن المحتمل مشاركة آخرين لاتسعفني الذكرة بإبراد أسمائهم .

وبعد فترة وجيزة رشحت أنا والزميل سامر لعضوية الحزب الشيوعي وعملنا سوية في خلية واحدة . كان الحزب يعيش في تلك الفترة صراع حاد بين ما اصطلح عليه التوجهات (اليمينية التصفوية) وبين التيار اليساري المتنامي والمتأثر بانتصارات الثورة الفيتنامية و الفكر الجيفاري .

امتد النقاش والصراع خارج صفوف ال حزب إلى الاصدقاء وجماهير اليسار بشكل عام . وتمخضت النقاشات في مجوعتنا الهندسية عن رفض الواقع الحزبي الموجود وانحيازنا التام وضمن الامكانيات الفكرية المتواضعة لدينا إلى اليسار وفكرة الكفاح المسلح ، الأمر الذي أدى إلى ارتباطنا (سامر وانا) ، الحزبيين الوحيدين في المجموعة في تلك الفترة ، إلى تنظيم القيادة المركزية على اثر الانشقاق الذي حدث عام 1967 حيث انشطر الحزب الشيوعي العراقي الى تنظيمين متعارضين ، ومن ثم ارتبطت مجموعتنا بكاملها بهذا التيار . لم يكن انحيازنا إلى القيادة المركزية للقناعة بها، حيث شخصنا من ذ البداية إنها جاءت من رحم القيادة التقليدية ، وإن عملية الانشقاق أجهزت حسب تصوراتنا عملية تغيير جذرية من الممكن ان تقوم بها القاعدة الحزبية . وكنا على اعتقاد بأن قادة الانشقاق ركبوا الموجة لأغراض شخصية ومن اجل تبوؤ مواقع قيادية . لقد كان انحيازنا إلى القيادة المركزية من باب الأمر الواقع حيث تم الانشقاق ، وما علينا إلا أن نحدد مع من نقف . وانحزنا إلى الاقرب لوجهات نظرنا مع استمرار سعيها من اجل ايجاد سبل لتغيير نوعي وتجديد المسار في هذا التيار .

فاتني أن أذكر أنه في السنة الدراسية 1966-1967، كان لمجموعتنا دوراً متميزاً وقيادياً في انجاز الانتخابات الطلابية في كلية الهندسة وفوز مرشحي قائمة اتحاد الطلبة في الجمهورية العراقية بمعظم المقاعد وهم كل من الزملاء التالية اسمائهم ادناه:

سالم علي امين و غسان عبد الرسول نجم عن السنة الرابعة ، ووليم بنيامين وسالم عبد الحليم عن السنة الثالثة ، اما السنة الثانية للأسف لم تسعفني الذاكرة بأسمائهم ، في حين كان جليل عبد الشهيد و ماجد مختار عن السنة الأولى. أما الفائزون عن السنة الخامسة في قسم الهندسة المعمارية الذي ينفرد عن بقية اقسام الكلية بعدد السنيين الدراسية فيه ، فقد فاز كل من الكرم العكيلي (مستقل) ونزار حمدون (بعثي).

أرعب الفوز الكبير للطلبة الشيوعيين واصدقائهم في جميع الكليات تقريبا الحكومة في حينه، فسارعت إلى إلغاء نتائج الانتخابات ومصادرة ارادة الطلبة . لقد كان لهذا الإجراء التعسفي دوراً كبيراً في تعزيز قناعتنا بعدم جدوى الطريق السلمي في الصراع.

لقد حاولنا تشكيل بؤرة ثورية على غرار التجربة الكوبية والبوليفية من خلال مجموعتنا . ولكن ضعف الامكانيات وقلة الخبرة حال دون ذلك . في تلك الفترة شكلت القيادة المركزية تنظيماً جديداً أسمته جبهة الكفاح الشعبي المسلح. وحال الاعلان عن هذا التشكيل بادرنا (سامر وانا) من خلال تنظيمنا الحزبي إلى المطالبة بالالتحاق بهذه الجبهة .

بعد تخرجنا عام 1967 بفترة قصيرة ، جرى ترحيلي الحزبي الى تنظيم المهندسين . في حين استمر الشهيد سامر بعمله ضمن التنظيم الحزبي الطلابي لكونه التحق بدراسة الماجستير . وكان العام 1967-1968 حافلاً بلبنشاطات الطلابية والسياسية.

أثناء الحاحنا بضرورة الالتحاق بالجبهة وتشكيلنا المستمر بجدية القيادة المركزية في خوض الكفاح المسلح، أعلنت القيادة المركزية في 29 حزيران 1968 عن وقوع أول مواجهة مسلحة بين جبهة الكفاح الشعبي (مجموعة الشهيد خالد امين زكي) والسلطة في الاهوار . واصدرت القيادة المركزية بياناً حول الاحداث، الامر الذي ألهب حماسنا وزاد من اصرارنا على ضرورة الالتحاق والاستمرار بمطالبة الحزب بذلك.

لقد دقت العملية العسكرية في الاهوار وقبلها نتائج الانتخابات الطلابية ناقوس الخطر لكل القوى المعادية للييسار ، ونبهتهم إلى تنامي هذا التيار وجماهيريته . و في يوم 17 تموز 1968 وقع الانقلاب البعثي الثاني واستلم البعث السلطة من جديد . لم يغير مجيئ البعث إلى السلطة من اصرارنا على نهج الكفاح المسلح من اجل تخليص الوطن من شروره .

كانت حلقتنا الصداقية تتعزز وتتوسع لتشمل اصدقاء من خارج كلية الهندسة في عدد من الكليات . في شهر ايلول 1968 اصدرت القيادة المركزية عدد اً خاصاً من جريدة مناضل الحزب، وهي الجريدة التنظيمية الداخلية. وكان هذا العدد مكرساً للهجوم على نشاطاتنا، وأتهمنا بالشللية والحلقية وتقويض العمل الجماعي وازعاف الحزب دون ذكر اسماءنا. لقد كان وراء تسريب نشاطنا الى الحزب حسب اعتقادنا في حينه أحد طلبة كلية التجارة، والذي كان اضافة الى عمله في حلقتنا ، عضواً في تنظيم القيادة المركزية.

بعد فترة وجيزة أبلغنا حزبياً (سامر وانا) كلاً على حدة من خلال تنظيمه موافقة الحزب على التحاقنا ومن نرشحهم من الاصدقاء إلى جبهة الكفاح الشعبي المسلح. نشط سامر لكونه في الجامعة لتحديد من لديه رغبة في الالتحاق معنا. وفعلاً أنظم كل من الشهيد عماد الجبوري طالب في كلية الهندسة والشهيد أزر الجعفري طالب في كلية الاقتصاد وبذلك اصبحنا اربعة .

لقد كان حماسنا الطاعي وقلة خبرتنا السياسية والحزبية العاملين الرئيسيان في عدم الربط بين ما جاء في مناضل الحزب وسرعة الموافقة على التحاقنا ومن نرشحهم من اصدقائنا ؟؟؟ الامر الذي أثار التساؤل حول احتمال محاولة الحزب إبعادنا عن العمل السياسي والحزبي في بغداد .

في 1-10-1968 جرى ترحيل أربعين مع أحد ممثلي التنظيم إلى مدينة الكوت . بتنا ليلة واحدة جرى

خلالها توفير ملابس فلاحين لنا (دشاديش، عقل، غتر،.....الخ). ومن ثم تم ايصالنا إلى ريف مدينة الحي حيث بقينا فيها عدة أيام لحين وصول الدليل الذي اتجه بنا صوب الهور عبر مدن الشطرة والناصرية وسوق الشيوخ . وصلنا إلى ضفاف الهور عند المغرب لنجد هناك من ينتظرنا . كنا اربعة والدليل وكانوا هم اربعة وأصبحنا تسعة. كان اللقاء حميمياً ومؤثراً ، وتوزعنا على مشحوفين وانطلقنا في عمق الهور المترامي الأطراف. وفي اثناء الرحلة عرفنا بانه لا توجد حالياً اية قاعدة لجبهة الكفاح الشعبي المسلح. واننا سنكون النواة الجديدة لهذه الجبهة بعد استشهاد خالد امين زكي وعدد من رفاق مجموعته.

استغربت من هذه المعلومة!! ولماذا لم يخبرن التنظيم بذلك ؟ ولكن وفي نفس الوقت زادت ثقتنا بصحة قناعاتنا بأن القيادة المركزية غير جادة في شعارها للكفاح المسلح . ويبدو ان الحالة الجديدة التي سنكون فيها نحن نواة العمل المسلح أرضت غرورنا وفي قرتنا على التأثير في الأحداث اللاحقة وتطوير العمل المسلح إلى بؤرة ثورية جيفارية . في اثناء الرحلة اتفقنا على الاسماء الحركية بيننا . وصلنا في اليوم التالي إلى المكان المحدد ، وقمنا ببناء قاعدة لنا هي عبارة عن كوخ (جباشة) من القصب والبردي ، وجرى توزيع الخفارات بيننا . عاد الدليل وبقينا ثمانية نحن ا لأربعة والأربعة الآخرون، وهم كل من مسؤول المجموعة وعامل من أهالي البصرة اسمه عبد الزهرة هارب من سجن الموصل قبل تنفيذ الاعدام به بسبب تصديه لقوى الأمن بشكل بطولي في مدينة البصرة . والثالث لا أتذكر اسمه من أهالي الهور اشترك في المحاولات ا لأولى للنشاط المسلح التي قادها الشهيد أمين خيون. اما الرابع فهو معلم من اهالي الكوت . هذه المعلومات عرفتها فيما بعد من مسؤول المجموعة ، كما عرفت اسم المسؤول نفسه (علي حسين سمير) من خلال ما نشر في مجلة الصياد اللبنانية عام 1969 من اعترافات لبعض أعضاء القيادة المركزية مع صورهم . كنا نقضي وقتنا في قراءة بعض الكتب القليلة التي ج لبها المسؤول ومجموعته، إضافة إلى تعلم ركوب المشحوف وصيد السمك إلى الاعمال اليومية الاخرى .

جرت نقاشات مطولة بيننا حول العمل المسلح وا لأسلوب الأجدى الذي ينبغي أن نمارسه. وقد برزت وجهتنا نظر في هذا الموضوع، الأولى طرحها المعلم وهي اعتماد الأسلوب الفيتنامي، والتي تعني العمل من خلال توجيهات وقيادة ا لتنظيم والاعتماد التام عليه في توفير جميع المستلزمات الضرورية لنشاطنا. ووجهة نظر ثانية طرحناها نحن الأربعة حول اعتماد أسلوب البؤرة الثورية على النمط الجيفاري وتعني الاعتماد على قدراتنا الذاتية. اتفق معنا في هذا الطرح مسؤول المجموعة والعامل. أما

الاخير فلم يستطع تحديد موقفه في حين أصر المعلم على رأيه. وفي النهاية اتفقنا على استمرار علاقتنا بالتنظيم مع اعتماد الأسلوب الجيفاري والعمل على انشاء خط لتنظيم مدني يرتبط بالجبهة و يوفر لها الدعم المادي والبشري . وقد أكد المسؤول على ضرورة الاعتماد على هذا الدعم مذكر ا بتجربته في مجموعة الشهيد خالد امين زكي وكيف كان العوز المادي يضطرهم لبيع قطعة من سلاحهم الشحيح مقابل شراء أرغفة خبز. وضمن هذا السياق ومن اجل التنفيذ العملي لانشاء الذراع المدني تقرر تكليف أحدنا لهذه المهمة. وبعد نقاش مستفيض وقع الخيار علي لتنفيذها، الأمر الذي كان يتطلب سفري لفترة قصيرة إلى بغداد لهذا الغرض، وتكليف عناصر مجموعتنا في بغداد للتحرك من اجل ذلك، والعودة ثانية الى الهور. أخبرنا المسؤول انه سيسافر بعد عدة أيام لحضور اجتماع مهم للقيادة المركزية وضرورة مرافقتي له لتنفيذ ما اتفقنا عليه.

في 20-10-1968 وصل الدليل، وفي اليوم التالي وذهبنا بمعيتة (المسؤول وانا). لقد كتب كل من الشهداء سامر و أزهر وعماد رسالة لعائلته اخذتها معي . وبعد وصولنا ضفاف الهور لبسنا ملابسنا الاعتيادية انا والمسؤول وافترقنا بعد تحديد مكان وزمان لقاءنا في بغداد . توجهت أنا إلى الناصرية ومن ثم الى بغداد حيث اختفيت في بيت الزميل سلمان العاني في الكاظمية. ومن بعد انتقلت إلى بيت الزميل سالم علي امين في مدينة الحرية . اوصلت الرسائل التي جلبتها عبر الزملاء إلى عوائلهم. وأوضحت للزميلين سالم وسلمان السبب الذي عدت من أجله، واتفقنا على أسلوب العمل وطريقة جمع التبرعات وتهيئة المتطوعين. تحرك الزميلان ونجحا في المهمة بسرعة ملفتة حيث تم جمع مبلغ جيد من المال وتهيئة زميلين جديدين للالتحاق بالجبهة في الهور خلال ايام قليلة فقط . قمت بتسليم المبلغ الى المسؤول، وكذلك تم ترتيب ارسال الزميلين الجديدين إلى الهور بعد تدبير لقاء مباشر لهما كل على حدة بالمسؤول .

سافر المسؤول الى القيادة في كردستان لحضور الاجتماع الذي جاء من أجله، وعاد بعد عدة أيام. والتقينا حسب الموعد الم تفق عليه بيننا من اجل ترتيب عودتنا الى الهور . عندها ذكر لي إن الطريق تعرض لبعض المشاكل الامنية وعلينا الانتظار. في خلال هذه الفترة التقى المسؤول عدداً من الاصدقاء من الخريجين وبعضهم كانوا ضباط احتياط . استمرت لقاءاتي مع المسؤول وتكررت اعتذاراته جراء عدم امكانية العودة لحين ان تتوضح الامور . في هذه الفترة عاد الصديقان المتطوعان دون أن يتمكننا من الوصول إلى الهدف المطلوب .

بعد عدة لقاءات واعتذارات أخبرني المسؤول بعدم امكانية العودة ، وان الصلة مع مجموعتنا مقطوعة

ولا نعرف عن أوضاعهم اي شئ . جرت محاولات عديدة يائسة من أجل معرفة ما حل بهم وتضاربت التحليلات والاشاعات. وزاد القلق والخوف على مصيرهم لحين بثت اعترافت عزيز الحاج المسؤول الأول في القيادة المركزية على شاشة التلفزيون في ربيع 1969. و صرقتنا بالخبر المفجع وهو مقتل أفراد المجموعة على أيدي الصيادين. و حدد عدد الضحايا بخمسة في حين كان عدد المجموعة التي تركناها سته!

أرى ان الموضوع لازال بحاجة إلى متابعة وبحث وتحقيق لتحديد الجهة التي قامت بهذه الجريمة النكراء. وأدعو السيد عزيز الحاج ومسؤول المجموعة علي حسين سمير وكوادر القيادة المركزية أو غيرهم ممن لديهم معلومات حول مصير هؤلاء الشباب البررة ان لا يتوانوا من اعلانها على الملأ لمعرفة تفاصيل هذه الجريمة النكراء .

وباستشهاد هذه المجموعة البطلة ، فقد العراق كوكبة شابة من خيرة ابناءه ، وخسر بشكل خاص قوادسي واعد هو الشهيد سامر مهدي صالح . المجد والذكر الطيب للاحبة الشهداء والخزي والعار للقتلة ايأ كانوا .

وأخيرا أتسنى على الحزب الشيوعي العراقي أن يضيف أسماء ه ذه الكوكبة من الشهداء إلى سجل الخالدين من شهدائه في كتاب شهداء الحزب والحركة الوطنية.

الخاتمة

هذا ما استطاعت الذاكرة والامكانيه الكتابيه المحدوده من تدوينه . لقد كانت رحله مضنيه استهلكت العاطفه والاعصاب معاً في التعايش مع تلك الحقبه الصعبه، بكل ما فيها من مشاعر بخلوها ومرها، حقبه عشناها بعنفوان الشباب الغامر الذي يتناسب مع رفضنا للواقع المر الظالم الذي يعيشه مجتمعنا . كان جل ما نفكر به هو تغييره للاحسن ، وبغفويتنا النقيه الطاهره البعيده كل البعد عن دهاليز السياسه . تسامينا على احلامنا وعواطفنا الشخصيه كشباب ، و حلمنا سويه بجمهوريه الفقراء والمحرومين . وكانت النتيجة كما عودنا التاريخ دمويه بحق الخيرين البرره . وفقدنا فيها أعزاء لا يمكن نسيانهم . سيبقون أحياء بيننا مهما كانت مشاغل الحياه وهمومها . خسرتنا سامر مهدي صالح الأنسان والزميل وال صديق والرفيق، والشهيدين أزه ر الجعفري وعماد الجبوري الشابين الرائعين ، اللذين يمتلأن حيويه ونشاط، ويمتلكان ثقافه وامكانيات تحليليه تفوق عمريهما الغض . كما فقدنا العاملين محسن فنجان وعبد الزهرة مزبان اللذين يمتازان بالثقة والتصميم لتحقيق المثل والمبادئ التي آمن بها مهما كانت ضخامة التضحية.

لقد حاولت جهدي ان أنقل تفاصيل تلك التجربة ضمن المفاهيم الفكرية التي كنان ومن بها في تلك الفترة. ولم أحاول نقدها أو تقييمها، كما لم أسقط عليها قناعاتي الحالية. لقد كانت جزءاً من المد اليساري الذي شمل العالم في تلك الفترة. ولا يمكن ان نجردها او نفصلها عن واقعها التاريخي، حيث كان العنف الثوري أحد الأساليب المشروعة لمجابهة السلطات الغاشمة. وإذا كان هذا العمل له ما يبرره في تلك الفترة، فلن نشر تفاصيل هذه التجربة الآن لايغني بلي شكل من الأشكال تبريراً للارهاب والعنف الذي يجتاح وطننا بمسميات مختلفة، والذي يستهدف الوطن والانسان. فما سال من دماء العراقيين يحتم على كل الخيرين تجاوز خلافاتهم والتكاتف من أجل تنمية جميع مناحي الحياة وفي مقدمتها الانسان وسعادته. فكفى العراق دماء.

بعد اضطراري مغادرة العراق عام 1979 بفترة قصيرة، اطلعت على كتاب مطبوع باللغتين العربية والفرنسية يوثق جرائم السلطة الدكتاتورية في العراق صادر عن منظمات حقوق الانسان الفرنسية. وكان اسم الكتاب (نحن ندين). ومن حسن الصدف قامت السيدة بشرى برتو باعادة طبع الكتاب من جديد عام 2009 باسم (لكي لا ننسى)، وذكرت في مقدمته ان لها دور بارز في اصدار الطبعة الاولى، ولكنها لم تضع اسمها عليه في حينه لأسباب أمنية. المهم أن الكتاب يحتوي على قائم، بأسماء ضحايا البعث منذ عام 1968 إلى تاريخ صدور الكتاب عام 1980. ويبدو أن جهه ما قد أوصلت اسماء الشهداء سامر ومجموعته وكان عددهم خمسة وليس ستة؟. أذ وردت تسلسل أسمائهم من رقم 4 الى رقم 8 كما يلي :-

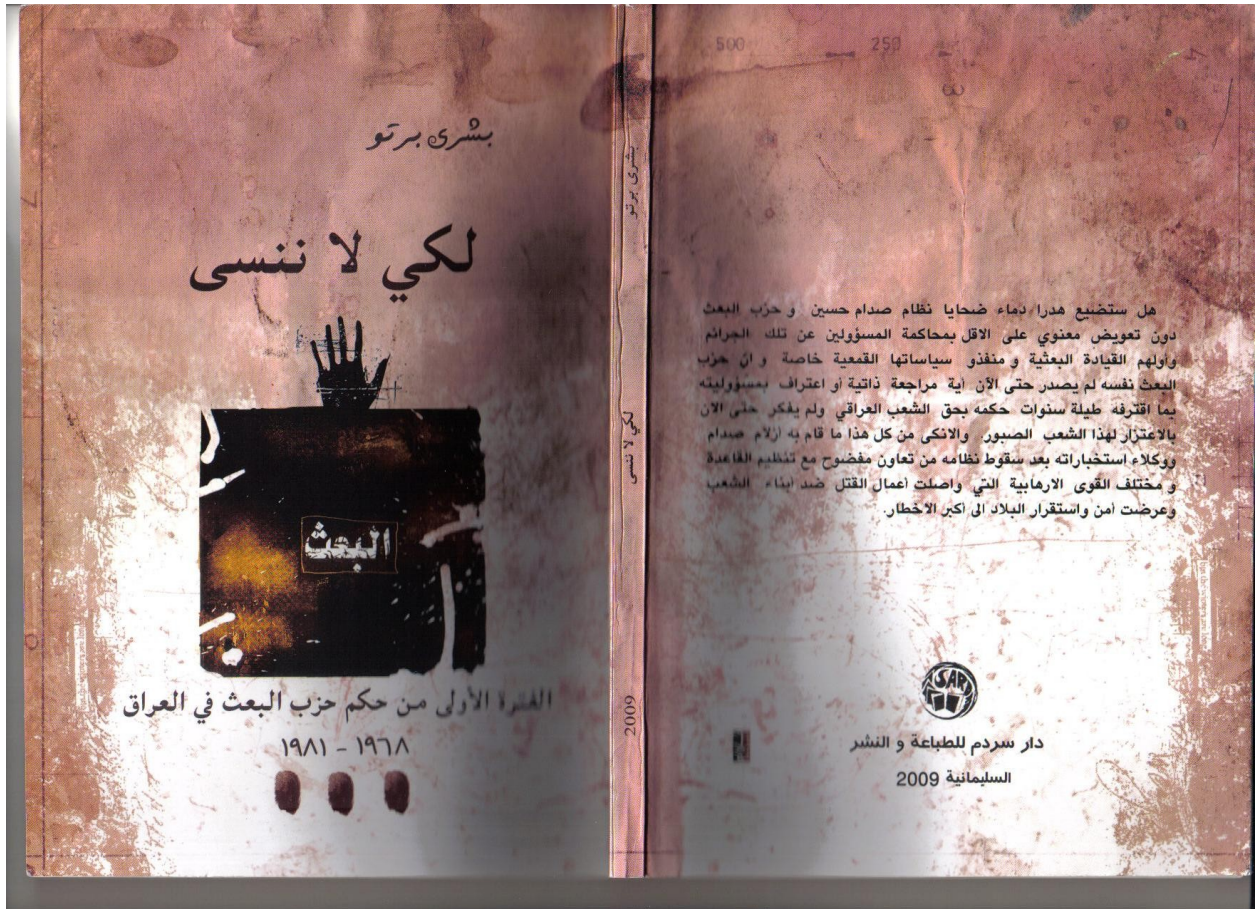
4- أزهـر صالح الجعفري طالب جامعي اغتيل عام 1968

5-محسن فنجان عامل اغتيل نهاية عام 1967

6-عماد عبد الجبار طالب جامعي اغتيل عام 1968

7-وقد ورد اسم الشهيد سامر مهدي صالح باسم سمير الحلي مهندس اغتيل عام 1968

8 - عبد الزهره مزبان عامل اغتيل عام 1968



لكي لا ننسى

قائمة غير كاملة بضحايا الدكتاتورية ١٩٦٨-١٩٨٠

أولا الاعدامات والاعتقالات. المعلومات المتوفرة تتعلق بتاريخ القتل ومهنة الضحية وأسلوب القتل:

١. جبار لفتة - عامل - أُغتيل في تشرين الاول ١٩٦٨
٢. وليد الخالدي - عامل - أُغتيل في ١٩٦٨/١١/٧
٣. أدور عبد النور - عامل - أُغتيل في ١٩٦٨/١١/٧
- ٤ + أزهر صالح الجعفري - طالب جامعي - أُغتيل في ١٩٦٨
- ٥ + محسن فتجان - عامل - أُغتيل في نهاية ١٩٦٨
- ٦ + عماد عبد الجبار - طالب جامعي - أُغتيل في ١٩٦٨
- ٧ + سمير الحلبي - مهندس - أُغتيل في ١٩٦٨
- ٨ + عبد الزهرة مزيان - عامل - أُغتيل في ١٩٦٨
٩. ناصيف حاج صبري - نائب ضابط - أُعدم في ١٩٦٩/١/٥
١٠. مطشر حواس - طالب جامعي - أُعدم في ١٩٦٩/١/٥
١١. عبد الورد عبد الجبار - ضابط - أُغتيل في شباط ١٩٦٩
١٢. أحمد محمود حلاق - عامل - تحت التعذيب - ١٩٦٩
١٣. متي الهندو - عامل - تحت التعذيب - ١٩٦٩
١٤. سامي الجصاني - موظف - تحت التعذيب - شباط ١٩٦٩
١٥. هاشم الالوسي - معلم - تحت التعذيب - شباط ١٩٦٩
١٦. نوري كمال العاني - عامل - أُغتيل في شباط ١٩٦٩
١٧. جبار الربيعي - محاسب - أُغتيل في شباط ١٩٦٩
١٨. شعبان كريم - عامل - تحت التعذيب - شباط ١٩٦٩
١٩. فايق ألياس - عامل - تحت التعذيب - شباط ١٩٦٩
٢٠. عزيز فحل ضمد - عامل - تحت التعذيب - شباط ١٩٦٩

لكي لا ننسى

الاجتماعية. اعتقل في شهر نيسان (ابريل) ١٩٨١ ولم يصدر عن السلطات شيء بشأنه. مكان اعتقاله غير معروف ولم يزود أهله بملومات عن وضعه. ان خطرا حقيقيا يتهدد حياته. ينبغي ان ترتفع الاصوات لمطالبه حكاهم العراق بالاعلان عن مكان هو اطلاق سراحه فورا.

شخصيات قتلت وأخرى اختفت

شخصيات كردية:

✦ محمد صالح اليوسفي ٦٣ سنة، شخصية كردية معروفة، وزير سابق في حكومة البعث (١٩٧٠-١٩٧٤) من قادة الحزب الديمقراطي الكردستاني السابقين. اعتقل لبطعة أشهر بسبب نشاطه المحدود في جمعية الثقافة الكردية ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية بعد إطلاق سراحه. وأخيرا تسلم طرودا بريديا، وهو رهن الإقامة الجبرية، انفجر في يديه وأودى بحياته في صيف ١٩٨١.

✦ دارا توفيق: ٤٧ سنة، شخصية كردية معروفة، من قادة الحزب الديمقراطي سابقا، مهندس مدني حصل على تعليمه من بريطانيا. شغل منصب مدير عام في وزارة النقل والمواصلات. قبل ثلاثة أشهر خرج من داره صباح أحد الايام متوجها الى مكتبه وبعد أن أوصل أولاده الى مدرستهم اختفى كل أثر له. ولكن توفى على الارض العراقية قبل أن يصل الحدود وأحد شوارع بغداد من قبل قوى الامن بعد أن أوصل أطفاله الى مدارسهم. السلطات العراقية تدعي انها لا تعلم عنه شيئا.

✦ شوكت عقراوي: ٥٣ سنة، مهندس حصل على تعليمه في بريطانيا. تعاون مع السلطة وأشغل منصب مستشار في وزارة الصناعة وهو شخصية كردية معروفة. أراد السفر الى خارج العراق للعلاج فعرضت عليه السلطات مساعدتها في إيصاله الى الكويت بسبب غلق مطار بغداد جراء الحرب العراقية ضد ايران. ولكنه توفي على الارض العراقية قبل أن يصل الحدود وسلمت جثته الى عائلته. توفي في ربيع ١٩٨١ في ظروف غامضة جدا فقد ظهرت عليه أعراض التسمم بالثاليدوم التي أصبح العراقيون يعرفونها حتى المعرفة رغم أنه لم يعتقل.

مداخلات الاصدقاء

مداخلة كريم السبع

تقديم

يقول عالم الاجتماع و الباحث د . علي الوردي إن التاريخ لا يكتبه أوي وثر في مساره الأقوياء و العظماء فقط ، بل والمغامرون أيضاً. وذلك في معرض سرد الوردي لأحداث تشكيل ثم سقوط أول مملكة عربية في العقد الثاني من القرن العشرين بزعامة الملك فيصل الأول في سوريا، وكيفية أصرار وزير دفاعه في حينه الشهيد يوسف العظمة على مواجهة الجيش الفرنسي المدجج بالأسلحة الحديثة وهو لا يملك سوى بضعة مئات من البنادق اليدوية من بقايا الجيش العثماني الهرم، وذلك دفاعاً عن الوطن في معركة ميسلون عام 1918 . ذلك الأصرار، الذي كانت دعامته الأساسية الحماس وروح الشباب وحب الوطن، قد سطر بذلك صفحة بيضاء نادرة في التاريخ الحديث للمنطقة بالرغم من أستشهاده و تدمير جيشه البسيط في تلك المعركة الخاسرة و المعروفة النتائج مسبقاً.

هذا الأمر يتكرر مرات عديدة كما يرويه التاريخ، مما يغير مساره أحياناً.

وما حدث في العراق في أو اسط ستينيات القرن الماضي يندرج في هذا الإطار ، حيث كانت شريحة الشباب و المثقفين في حالة غليان دائم و تأهب بحثاً عن بديل للوضع البائس و المأساوي الذي أوصلته اليه الهجمة الهمجية التي قادها حزب البعث الفاشي في انقلاب شباط الأسود الدموي عام 1963. ثم زادت الطين بلةً نكبة حزيران 67 المخزية، حيث تعرت الأنظمة العربية وأبواقها المهرجة وظهرت سربياتها القاتلة، بل برزت هزلة المجتمعات العربية عموماً . هذه المجتمعات المخدرة ذهنياً بالأفكار الغيبية والخرافات و الشعارات الزائفة.

وفي نفس الوقت، وبمقابل ذلك، كانت تصلنا أخبار منعشة من خارج المنطقة تدغدغ أحلام الشباب بغد أفضل. إذ أتسعت حركات التحرر الوطني في الكثير من بقاع العالم، و بالأخص منها أحداث تحرير فيتنام الجنوبيه شرقاً، و كوبا وأمريكا اللاتينية غرباً، أثر حروب ضروس ولكن بأساليب جديدة، ليست بجيوش نظامية، بل انخراط شرائح من المجتمع غير عسكرية، في مواجهة مسلحة مع أنظمتها الاستبدادية. وهو ما عرف وقتها بالكفاح المسلح.

تلك الأخبار ألهمت مشاعر الشباب الراضين لواقعهم، أملاً بنسخ التجربة في العراق مباشرة وبأماكنيات

أقل من القليلة.

وفعلاً ذهبت أكثر من كوكبة لامعة بهذا الطريق الوعر، مفضلين التضحية بحياتهم الغالية على ترف العيش السائد في حينه. إذ كان جلهم مؤهلين مهنيًا وثقافيًا ليتبوأوا مناصب جيدة في المجتمع. ولكنهم زهدوا بها كما زهد بها جيفارا الأسطورة.

تلك الأحداث المغامرة كانت من ضمن الأسباب العديدة التي شجعت و أستعجلت عصابة البعث الفاشي على سرقة السلطة مجدداً في تموز 68، ليدخل العراق في كابوس هائل ونفق طويل مظلم، كلف حياة الملايين من العراقيين الأبرياء، و أرجعته عقود الى الوراء. ولم ينتهي هذه العصابة إلا بمأساة مرة مازلنا نحصد كوارثها المتتالية، رغم كونها أحدى ضرورات التاريخ القاسية. للأسف لم تتوفر الفرصة ولم يأتي الزمن المناسب لتدوين تلك الأحداث المؤلمة كأمانة للتاريخ المحاي د. حيث لم يتوفر بعد ذلك الاستقرار السياسي المطلوب ونضج التجربة التي تؤهل لمراجعة نقدية للتاريخ بدلاً من تعظيمه أو مسخه.

وما مدون في سرد الأحداث أعلاه هو شهادة شخصية لأحد شهود تلك التجربة المؤلمة، شاعت الصدق وحدها أن يبقى حياً ليدونها اعتماداً على الذاكرة فقط. مما يتطلب من الذين يعينهم الأمر أياً كانوا من ذوي الضمان الحية، تجميع المعلومات الموثقة حولها قبل أن يطويها الزمن، لتبقى صفحة حية عن لمحة وجيزة ولكنها مضيئة من التاريخ الطويل لهذا الشعب المبتلى بجغرافيته و تاريخه. هوامش و إيضاحات على سرد الأحداث:

1) كان العامل المشترك، والذي زاد من روابط الصداقة بين أفراد المجموعة، هو التوجه العائلي العام السياسي و الاجتماعي الأخلاقي. حيث لم يكن لأية عائلة من عوائل توجه ديني متمت لأى طائفة أو دين، و لا توجه قومي عروبي و بالأخص منه البعثي. حيث صار الموقف من تأييد أو الانتماء إلي حزب البعث مرفوظ أخلاقياً قبل أن يكون سياسياً. وقد تبلور ذلك بوضوح أثر الانقلاب البعثي الاسود في شباط 1963، وما جره من مجازر دموية عديدة ضد الآلاف من الأبرياء، وبدون توفر الحد الأدنى من الإجراءات القانونية في كل المراحل، من التوقيف الى التحقيق والتعذيب إلى المحاكمة الصورية المقررة مسبقاً. ثم التنفيذ العاجل بلا أي حق أو فرصة للدفاع أو تم ييز الحكم و غيره من ضمانات العدالة المطلوبة.

2) كان الفقيد سامر شخصية متميزة حقاً، ذو (كارزما) مؤثرة. شخصية هادئة و مقتنعة في آن واحد، لكونه يمتلك رصيماً ثقافياً مبكراً وذائقة موسيقية رائعة. ترعرع وسط عائلة ذات ثقافة منفتحة متنوعة،

تمتلك مكتبة غنية بالكتب و المؤلفات الغربية والشرقية معاً، إضافة إلى كتب الموسيقى . في زيارتنا لمنزل عائلته في مدينة الحلة، لفت أنتباهنا وجود بعض الآلات الموسيقية. فقد كان والده مدرساً للموسيقى في إحدى مدارس الحلة، مما أورث حب الموسيقى لسامر منذ أوائل شبابه. فعرفاه جيد العزف على أكثر من آلة وخاصة العود . تنوعت ثقافته الموسيقية من صنوف المقام العراقي و الموسيقى الشرقية إلى موسيقى الجاز وإلى الكلاسيكي، وهو الذي علمني شخصياً حب الموسيقى و كيفية الاستماع وتذوق موسيقى الشعوب عامة . ذلك الأهتمام الفني الموسيقي، كان يوازيه اهتمام جدي بالعلم و الثقافة العامة، ومنها السياسة و الفلسفة . ويضاف إلى كل ذلك تفوقه الأكاديمي، مما أكسبه احترام زملائه الطلبة ثم الأساتذة وعمادة الكلية، الأمر الذي سهل تلبية طلبه للموافقة على تكوين جمعية الموسيقى، وتخصيص إحدى الغرف المتروكة في نادي الطلبة لها . واندفعنا بحماس لتنظيف الغرفة و تأثيثها بشكل بسيط يتناسب مع جيوبنا الطلابية الخاوية، وكذلك شراء جهاز حاكمي قديم. ثم جمعنا من أسواق بغداد الثقافية، ما تيسر من أسطوانات الموسيقى الكلاسيكية، فكانت حصيلتها مكتبة موسيقية لا بأس بها، جلبت أهتمام الكثير من الطلبة.

(3) كانت تجربة انتخابات الطلبة فريدة ومفيدة معاً. إذ كانت التجربة الوحيدة التي أتسمت بقدر كبير من الديمقراطية نسبياً. ولكن سرعان ما أغلقت نوافذ الممارسة الديمقراطية في الانتخابات الأخرى رغم قلتها. وكانت الانتخابات مفيدة أيضاً كممارسة حرة نسبياً، علمتنا الاحتكاك المباشر بشريحة واسعة من الطلبة و التماور معهم لكسب ثقتهم و حثهم على المشاركة في الانتخابات. وجاءت النتيجة الايجابية لتعزز ثقتنا بأنفسنا و احترام جماهير الطلبة لنا، فكانت دافعاً إضافي لمرحلة العمل السياسي المنظم.

(4) تبرز هنا بوضوح قلة خبرتنا السياسية و حماسنا العاطفي الجياش على حساب البعد التحليلي العقلاني للأمر. فمن جهة كان الأنضمام للقيادة المركزية بدون القناعة الكافية والمطلوبة هو خطأ جسيم بحق تلك الأمور الجادة و الخطرة. و من ناحية أخرى لم نفكر ولو لفترة وجيزة بما ستؤول إليه الأمور فيما لو حالقنا الحظ ونجحت تجربة البؤرة الثورية، وما هي خطتنا الاحقة؟ . وهل كنا طالبين للسلطة و ساعين لها؟ وهل كنا على معرفة بإدارة سلطة بلد كامل معقد كالعراق وبأمكاناتنا الشبابية و خبرتنا الحياتية و السياسية المحددة؟ . إننا بعد معرفتنا بفشل تجربتين سابقتين (مجموعة خالد أمين زكي و مجموعة أمين الخيون)، لم نتوقف لمعرفة تفاصيل تلك التجارب و أسباب فشلها لتفاديها، كما يتطلبه التفكير العقلاني للأمر. بالرغم من أن معرفة تلك التفاصيل لم يكن بالأمر الهين، ولكن كان

الأجدر مطالبة قيادة الحزب بها و الأصرار على ذلك . كذلك لم يستوقفنا رجوع البعث مجدداً للسلطة وتاريخه الحافل بالأجرام. ولم نستفيد من تجربة انقلاب 63 الأسود القاسية و المرة، و ما يستوجبه من تغيير أو تعديل في أساليب العمل بما يتطلبه الوضع الجديد الأكثر خطورة من سابقه . تخطينا كل تلك الأمور و الأسئلة العقلانية مندفعين عاطفياً وراء حلم التغيير و حسب.

(5) ترى هل كانت خطة القيادة المركزية في وقتها إبعاد تلك المجموعة اليسارية المتحمسة عن ساحة العمل السياسي و تركهم في مجاهل الأهوار، تفادياً لما قد يسببه تواجدهم في العاصمة من بلبلة في صفوف الشباب و تحريض قواعد الحزب ضد قيادته، وما يجره ذلك من زعزعة لقيادتهم . فهل كان من باب الصدفة أن يكون الطريق إلى الهور ممكناً في البداية ثم تعذر ذلك في المرة الثانية؟ وهل أن ذلك الهور الكبير الذي يغطي مساحة جغرافية شاسعة له منفذ أو طريق واحد ؟ ثم ماذا حل بالبلغ الذي لم يكن قليلاً في وقتها ؟ هل وصل إلى مجموعة الهور فعلاً ؟ أم وصل إلى القيادة التي لم يجمع من أجلها؟... وهل كانت تلك القيادة مؤهلة لمثل ذلك العمل و الشعار الخطر الجسيم الذي نادى به؟

تلك الأسئلة تفتح الشهية للمزيد و المزيد منها. فلم يكن مسموح بها في وقتها تحت خيمة العمل السري وما جره من سموم و ويلات على عموم الحياة السياسية بالعراق . ولكن هل كان العمل السري اختياراً ؟ أم اجباراً أملته قسوة الأنظمة المتعاقبة على الحكم في عموم المنطقة والعراق خاصة؟ فللكفاح المسلح و المواجهة العسكرية مع الحاكم ليس له ما يبرره أبداً في ظل أجواء الحياة الصحية الديمقراطية . لذا أن انعدام الديمقراطية في النشاط السياسي و الثقافي يفسد كل المجتمع والدولة ، وليس السلطة فحسب. إذ تنتقل أمراض السلطة المزمنة إلى أحزاب المعارضة أيضاً، و بالتالي يبقى المجتمع يدور في حلقات مفزعة من الفساد و التخبط و أنعدام الرؤية السليمة للتطور. وهذا هو حال المنطقة العربية منذ قرون عديدة و ما زالت عليه.

خاتمة:

قد يتبادر للبعض سؤال فيه شئ من الشرعية، هل يعني سرد الأحداث الآن هو دعوة مجددة لما سمي بالكفاح المسلح تحت أية واجهة كانت، مقاومة حميدة أو مقاومة خبيثة؟ طالما أن تسمية الاحتلال مازالت مقرونة بأسم العراق في الكثير من وسائل الإعلام، وكأن الزمن العراقي يظل جامداً كما هو الحال في منطقتنا عموماً، رغم سرعته في الكثير من بقاع العالم.

إن العنف قد أنهك العراق و أرجعه عقود إلى الوراء، ولم يعد مقتنعاً تحت أية واجهة يأتي بها، وطنية كانت أو أيولوجية أو دينية.

فكفى العراق دماءً وعلى الجميع التوجه لبناء الوطن وأنعاش اقتصاده. وليأخذ المواطن حقه من الحياة الكريمة الآمنة، ويعيد بناء نفسه و مجتمعه، فاتحاً أبوابه لرياح التغيير التي يفرضها التطور الطبيعي للحياة.

مداخلة سالم على أمين و سلمان العاني

لقد تكلمنا و تذاكرنا أنا وسلمان حول إحداه الفتره 67 و 68. لابد من ان قسم من تلك التفاصيل و الأحداث قد نسي إلا إن الم هم منها مازال محفوراً في بالذاكرة. لقد اتفقنا على أن ذلك التحرك لم يكن عفويً، بل رد فعل على مفاهيم وسلوكيات خاطئة ، مورست لفترات طويلة مسببة الكثير من الم آسي والكوارث التي زرعت الخوف واليأس في النفوس.

فعلى الرغم من إن النشاطات الاجتماعية و الثقافية في كلية الهندسة خلال تلك الفترة من عام 1968 لم تشكل تهديداً لأحد أو لجهة، إلا أنها اعتبرت كذلك من قبل البعض. فجوبهت بالاستفزاز من قبلهم، بل تم تخريب إحدى الفعاليات. لقد فتح ذلك الاعتداء النافذة على الماضي. و كان المعتدون من أمن السلطة وأحزاب عميلة و فاشية وفي مقدمتها حزب البعث والأخوان ، يستهدفون الشيوعيين و أصدقائهم و الوطنيين الآخرين دون إن يتوقعوا ردا يوقفهم عند حدهم . مما جعل هذه الممارسة أمرا سهلا . كانت طلبات الشارع ملحة و كثيرة لتغ يير هذا النهج الخنوع و الخطير ، إلا ان الحزب المسؤول عن تلك السياسات كان يجهض تلك المحاولات و استمرت الأمور على هذا المنوال.

بعد الاعتداء قرر خمسة طلاب برد العدوان وردع المعتدين بدون تفكير طويل أو إجراء حسابات كثيرة التي عادة ما تقود إلى التخاذ ل. تم الصدام الذي كان غير متكافئ من حيث القوة ، حيث شهر المهاجمون المسدس و الآلات الحديدية أثناء الصدام إلا إن ذلك لم يرعب الخمسة. كان عددهم أكثر من الضعف، إلا إن عزيمة الخمسة الذين سالت دماء قسم منهم كانت مصممة على ردهم و تلقين درس لأي معتدي مستقبلاً ومن كائن كان.

هذا الاصطدام أذكى النار التي تحت الرماد ، فلقد نجح الخمسة في النفخ بذلك الرماد . وفي اليوم التالي بدأ الطلبة الآخرون يتصلون بالخمسة. لم تكن توجهات الطلبة الفكرية معروفة جيداً بعضهم لبعض، وأبدا الطلبة لهم مشاعر التضامن والاستعداد بالوقوف معهم بوجه أي استفزاز أو اعتداء . لقد تراجع المعتدون ولم نعد نرى عنترياتهم كما كانت بالسابق . وتعززت الثقة بالنفس وزال الخوف . وبدأت مرحلة جديدة مرحلة العين بالعين . لقد تبلور واقع جديد سمح لنا التحرك والنشاط داخل الكلية وكذلك

بفيلا الكليات الأخرى ببغداد .

كان من نشاطاتنا المهمة والتي تنسجم مع فكرنا هو برنامج لمساعدة الطلبة الأكثر عوزا . كان يتم وضع النقود بجيوبهم دون إشعارهم. و كذلك كنا نجمع الكتب الدراسية من الطلبة الذين انتهت حاجتهم لها و إعطائنا للطلبة المحتاجين إليها و إلى الذين يصعب عليهم شرائها . وبهذا كنا متميزين عن الآخرين بنكران الذات و روح المساعدة.

لقد حضرنا جيدا للانتخابات الطلابية عام 1967. وكان هدفنا و طموحنا هو الحصول على أكبر نجاح ممكن. وقد أفلننا وبقناعة محاولة الائتلاف مع ما يسمى بـ(البعث اليساري) الذي حاول ابتزازنا و الضحك علينا حيث انه حدد حصته بـ60 بالمائة و40 بالمائة لنا. هذه الفكرة كانت مرفوضة من الأصل، ولكن كان هناك من تدخل ممن لم تكن عنده الثقة المطلوبة بإمكانياتنا و شعبيتنا. و أخيرا انتصرت إرادة الرافضين الذين يقدرون ويعرفون وزننا وقيمتنا و تميزنا وتاريخنا . و هكذا يجب ان نحترم دائما و بكل الظروف تلك الصفات .

اظهرت نتائج انتخابات اتحاد الطلبة في عام 1967 فوز قائمتنا في تلك الانتخابات في الجامعة . وكانت نسبة المقاعد التي فزنا بها في كليتنا هي 90 بالمائة مؤكدة شعبيتنا. وكان ممكنا كما تأكد لنا أن تكون النتيجة 100 بالمائة لولا إكراه مرشحنا على الانسحاب من الترشيح في ظرف حرج. أما الجهة التي اقترح البعض التحالف معنا فلم تحصل على شيء.

كان الحال في الكليات الأخرى شبيه لما يجري بكلية الهندسة . و هكذا بدا الاتصال و حصلت بيننا علاقة رفاقية بكل ما في الكلمة من معنى . أصبحنا ننسق مع أ في كل ما يخص أمور الطلبة في الجامعة والتصدي لأي معتد.

بلا شك إن تلك الفترة كانت تتميز بقمع اقل للسلطة الحاكمة ، مما أعطى فسحة ولو ضيقة للنشاط في حينه. إلا أن الوعي و الثبات كان وراء ما تحقق من إنجازات جيدة و واعدة.

لقد انحازت الحركة الطلابية إلى القيادة المركزية حي ث كانت تبدو ان الطروحات متقاربة . إلا ان التشكيك كان مبكراً في جدية و نوايا القيادة في تبنيها خطاً واضحاً للتغيير و التخلص من سياسات و ممارسات الماضي داخل التنظيم و على المستوى الوطني و الفكري ، و السير بثبات لتحقيق أهداف الجماهير و بالوسائل المتوفرة بما فيها الكفاح المسلح ، الذي ابتدأته مجاميع أخرى (مجموعة الشهيد امين خيون وكذلك مجموعة الشهيد خالد امين زكي) ممهدة الطريق للآخرين للسير به . لقد كان الشهيد سامر من المشككين الأوائل و كان يحذر من إجهاض هذا الخيار ، لأنه أصبح الخيار الوحيد بعد

التجارب الطويلة للخيار السلمي الذي كان من نتائجه التصفية الجسدية بالقتل أو التعذيب أو السجن لمدد طويلة جداً لآلاف المناضلين.

بدأ صراع خفي بين الحزب و بين الذين كانوا يلحون على تفعيل خيار الكفاح المسلح. ربما قرر الحزب التخلص منهم بإرسالهم إلى الاهوار دون تموين و تجهيزات ولا حتى المستلزمات البسيطة . إذن هي مؤامرة للتخلص منهم.

كان هناك من الاعداء من يتربص بلوثوب إلى السلطة بأوامر من اسيادهم . و هو أمر كان متوقعاً. وتم الاستيلاء على السلطة مجهزين التحرك الجماهيري و تجربة الكفاح المسلح المتواضعة، ودخلت البلاد في مرحلة جديدة من القمع المنظم و التدمير .

مداخلة وهاب المرعب

كان ذلك نابعاً من ايمان صادقٍ وعميق، اساسه ا لإحساس بما يلاقيه الوطن والشعب من ظلم يتمثل بسوء الإدارات المتعاقبة على السلطة، وسوء التصرف بالموارد الهائلة التي يتمتع بها العراق. كانت الأهداف ساميةً ونبيلةً وتكاد تكون مشتركة ، بل ومتطابقة مع الأهداف المعلنة من أغلب القوى السياسية العاملة آنذاك سواء صدقت تلك القوى أم تسترت ورائها لغايات أخرى . اما المجاميع (الثورية) التي نحن بصدها، فكان أغلب قهرامها من الطلبة. ومن المعلوم بأن هذه الشريحة تكون بعيدة نسبياً عن المصالح الخاصة ، وتتعامل مع المعطيات السياسية بنقاء قد يصل الى درجة النقاء الطفولي . بالطبع لا أقصد الافتقاد الكلي إلى النضج السياسي ، ولكن بالتأكيد هناك نقص ملموس في هذا الجانب . وعلى أي حال ، اعتقد أنه لايمكن إعادة تحليل الموقف بعد هذه المدة، دون الرجوع إلى الظروف الموضوعية التي أحاطت بحقبة الستينات من القرن الماضي.

ولكي نخرج بتحليلٍ صادقٍ ومفيد ، فيطلب منا وقفة محايدة . نضع الأجابات جانباً ، اي بدون اجابات مسبقة عن اسئلة مثل : هل كنا على حق ؟ هل كانت الحركة - اي حركة - في التوقيت الصحيح؟ هل...هل...؟؟ لندع ذلك جانباً ولو بشكلٍ وقتي، ولنفترض إن الراصد قادم من المريخ . بماذا اتسمت حقبة الستينات؟

-الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والغرب عموماً و أميركا خصوصاً.

-تعاظم حركات التحرر الوطني في بلدان العالم الثالث. هل كانت هذه الحركات برضا وموافقة اميركية؟

وقبل ذلك هل خدمت هذه الحركات الأهداف النهائية الأميركية، إقتصادية او سياسية، خاصةً اذا علمنا إن معظم هذه الدول - إن لم تكن جميعها قد انسلخت من الارتباط المباشر بالاستعمار القديم البريطاني والفرنسي والحركات الثورية الماركسية في أميركا اللاتينية وجنوب شرقي آسيا وبعض البلدان الأفريقية.

وفي هذا المجال لابد أن نفرّد ملاحظة منفصلة للثورة الكوبية ومبدأ البؤرة الثورية الذي أطلقه جيفارا. ولابد من الإشارة الى مانشره سارتر في (عاصفة على السكر) و(دوبريه) في (الثورة في الثورة).
-الأحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية في فلسطين ومصر وسوريا والهزيمة المشينة للأنظمة العربية.
-الحركات الطلابية في أوروبا، خاصةً في ألمانيا وفرنسا.
-التغيرات الحاصلة في منظومة عدم الانحياز والمتمثلة بالآتي:
*إزدياد عدد الدول المنضوية فيه، وتزايد قوتها في الأمم المتحدة.

*ارتباط السياسة الخارجية لأغلب هذه الدول بالمعسكر الشرقي، في حين اتسمت السياسات الداخلية لها بالاتجاه اليميني ومحاربتها الشديدة للأحزاب الشيوعية والماركسية واليسارية عموماً.
*ظهور شكل من اللبرالية وتراخي نسبي في القبضة الحديدية لبعض هذه الأنظمة.(حكومة عبد الرحمن البزاز مثلاً)

- اطلاق مبدأ التطور اللارأسمالي للوصول الى البناء الاشتراكي في المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي (الاتحاد السوفيتي).
في ظل هذه الظروف، (نعم) ظهرت الدعوة الى الكفاح المسلح . ولم نكن نحن البلد ا لوحيد في ذلك . والدعوة إلى الكفاح المسلح لم تكن لتغيير نظام الحكم فقط ، بل لتغيير النفوس وإ يقاظ الشعب من لأباليته الطويلة. هذا هدف كبير ونبيل ولكن هل كان الكفاح المسلح هو الطريق الصحيح للوصول اليه؟ لنترك الأسئلة جانباً مؤقتاً.

في ظل التراخي النسبي وم لامح اللبرالية التي أشرنا إليها ، استطاع الشيوعيون أن يلمموا ما انفرط من قواهم ، ليعاودوا الظهور إلى ساحة العمل السياسي . وكان هذا الظهور على أشده في انتخابات الطلبة. ولكن ما هي الرسالة التي بعثتها هذه الانتخابات؟
*إلى السلطة: أنتم في خطر، فالشيوعيون قادمون.

*إلى القوى المنافسة وفي مقدمتها البعث والحركات الملتفة حوله: إن لم تستلموا السلطة الآن فلا...
*هل كانت هناك رسالة إلى القوى الخارجية التي تنظر إلى بلدان العالم الثالث كونها الغنم المنتظرة لإعادة النظر بالأسراتيجيات عموماً والتخطيط للاستفادة من حلفاء الأمم (1963 مثلاً)؟.

نعم هذا محتمل جداً، ولكن الأهم هو إننا لم ندرك بأن الأجواء الديمقراطية هي الأجواء الأكثر صحياً لنا. لولا تلك الظلال الباهتة من الديمقراطية لما كان بإمكاننا خوض تجربة الانتخابات الطلابية والفوز بها بنجاح واضح . كنا نهزأ من تجربة غاندي السلمية ونعدها مثلاً للتخاذل . وقد اعتقدنا (ونحن على

حق) إن السلطة ستصادر أي مكسب نحققه عن الطريق الديمقراطي ، وهذا ما فعلته بالنسبة لانتخابات الطلبة. ولكن من قال إن الديمقراطية يمكن الحصول عليها بسهولة؟ ...لننظر الآن وبعد أكثر من خمسة وثلاثين سنة إلى الثمن الذي دفعناه ولانزال للوصول إلى الديمقراطية . إذن كان علينا الدفاع عن مكاسبنا ونقارع العدو بالسلاح المتاح لدينا وليس بالسلاح الذي بيديه . القوة الغاشمة ...ترسانة الأسلحة..كلها بيد العدو، يبرع في امتلاكها واستخدامها ، في حين إن سلاحنا من المفروض أن يكون الفكر وقوة الأتباع . لقد عجزنا عن توفير مسدسات للأشخاص الذاهبين إلى الموت بينما كانت ترسانة السلطة عامرة بكل ما تشتهي من وسائل القتل . قلنا إن جيفارا هو الآخر لايمك أسلحة . هل نستطيع أن نقول إن موت جيفارا كان حتمياً إزاء هذه المعادلة ؟ هل الحسين هو مثلنا الأعلى أم غ اندي ؟..لم نفكر بذلك ملياً ..لربما حللنا ولكن بشكل خاطيء ... وصلنا إلى النتائج قبل الخوض في الأوليات ..لقد اتهمونا بمرض الطفولة اليساري..هل كان ذلك صحيحاً؟.

لم يسيطر الشيوعيون على الشارع أيام نوري السعيد بقوة السلاح، بل بالتظاهرات السلمية والمنشورات. كان الناس يحبونهم لأنهم عزل ويخوضون الصراع مع القوة الغاشمة بالفكر والأقناع . وفي عهد عبد الكريم، لم تتغير الصورة ولم يتغير موقف كلا لطرفين؛ الشعب والحزب. أعتقد أن فكرة مواجهة السلطة بقوة السلاح نابع في الأساس من النهج والثقافة الأمريكيتين. اعتبر بعض المحللين أن الانقلابات العسكرية التي حصلت منذ بداية الخمسينات من القرن الماضي انقلابات أميركية؛ ولهم اسبابهم في ذلك. فهي قد حصلت ضد الأستعمار القديم وبذلك فسحت المجال للقوة الجديدة (أميركا) أن تحل محله. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن اسلوب استخدام القوة والمغامرة ... أساليب أميركية. وفي ضوء النجاح السريع الذي حققته - الانقلابات العسكرية - في الوصول الى السلطة ، وللتشجيع الأميركي (أو لمجمل الظروف التي أشرنا إليها سابقاً) ، فقد مست عدوى المغامرة واستخدام القوة والنصر السريع ، مست هذه العدوى شرائح من الأحزاب الشيوعية وخ اصة بين الطلبة . لربما سيقال بأننا لم نكن نسع إلى النصر السريع بل على العكس ، كنا نريدها حرباً طويلة - على غرار ما حصل في كوبا - لنظهر النفوس ونجعل الناس حريصين على ما امتلكوه مقابل تضحياتهم الكبيرة . ونقول ببساطة أن استنساخ التجربة غير ممكن وسيؤدي إلى فشل محتم ، ناهيك عن النتائج بعيدة المدى لأعمال البطولات الفردية ومركزية النشاط ومركزية القيادة ، على العكس من المشاركة العامة . وإذا كان لدينا شك في القبول والرضا الأميركي للانقلاب المصري او الانقلابات في سوريا أو إنقلاب عبد الكريم قاسم، فأنا لانملك ذرة من الشك بالنسبة لانقلاب (1963) و ماتلاه في العراق واليمن والسودان واندنوسيا

وغيرها.

ويبدو أن ذلك أصبح نهجاً ساد العالم كله ، ولم يقتصر على الشيوعيين وحدهم ، ولم يقتصر على دولة او جهة معينة . لننظر إلى الخارطة السياسية في السبعينات من القرن الماضي ، الانقلابات العسكرية تمتد من أفريقيا إلى أميركا اللاتينية، وجميعها بدون إستثناء تشبه النمط البعثي في العراق . أعتقد إن هذه الظاهرة هي التي دعت المؤتمر الخامس والعشرين (؟) للحزب الشيوعي السوفيتي إلى تبني مبدأ التحول الالارأسمالي نحو الاشتراكية. لا أستطيع أن اخوض كثيراً في هذا الموضوع لأسباب كثيرة ، لعل أولها قلة معلوماتي بشأنه . ولكني أكاد أجزم بأن هذه الانقلابات (النمط البعثي) كانت نسخة أميركية ، سيناريو وإخراج.

بقي شيء أود أن أتطرق إليه بعجالة ، ألا وهو موضوع العنف واس استخدامه في مقارعة السلطة (أي سلطة) . أعتقد وبغض النظر عن المكان والزمان ، وما يتبناه مدعي الإسلام الجدد ، إن ذلك أمر مستحدث. فلم يظهر في الإسلام إلا بعد أن تحولت الدولة إلى النظام الإقطاعي في بداية الحكم الأموي . (ماذا عن الفتوحات الإسلامية وحر عائشة ضد علي ومعاوية وعلي ويزيد والحسين؟؟) أنظر إلى ما ورد في القرآن على لسان هابيل وهو يخاطب قابيل؛ يقول (لنن بسطت اليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسطٍ يديّ إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . لايرفض استخدام العنف ضد خصمه فحسب، بل يرفض استخدامه حتى في الدفاع عن نفسه ... على الخصم أن يتحمل وزر عدوانه، العالم ... الرأي العام.. الإنسانية... سمه ما شئت ... ستأتي الأداة منهم .. وسيكتب للنهج السلمي الخلود والتمجيد وسيكون ضمن المثل العليا للبشرية... أستعرض التاريخ، وستجد ما اقله غير بعيد عن الصواب.

مداخلة فهم عيسى السليم

أنا لا أستطيع أبداً أن أطلق على المجموعة صفة المغامرين قدراً هم متقدمون فكرياً على من حوله م. لقد كنا جميعاً متفقيين وبشكل مدهش على وجود الخلل في الاستراتيجيات وطرق التنفيذ والوصول إلى الأهداف دون الإمكانية آنذاك لوضع تصور افضل .

لقد انتظمت في صفوف الحزب منتصف 1961، وكنت غراً صغيراً في المتوسطة . وأصبحت مرشحاً للعضوية وأنا في الخامس الثانوي . و بعد 8 شباط 1963 تركت التنظيم لكنني بقيت مخلصاً ولا زلت للمقولات الخالدة؛ أن كل شيء في العالم مادي وكل شيء في العالم يتطور . وبقيت نتيجة لذلك قريباً وصديقاً ممن يحملون هذا الفكر ويتحزبون له.

كانت لي علاقة حميمة طالَت العمر كله مع مؤيد توفيق الألوسي تعود الى عام 1959-1961، حيث لنا جارين في محلة راغبة خاتون وطلاب في مدرسة متوسطة واحدة لسنتين ، إضافة لإشترانا (رغم صغر سننا) في الأفكار التقدمية . فقد كان والد مؤيد هو الوجه الوطني توفيق عبد الرزاق الألوسي المحامي و المدير المسؤول لجريدة الإنسانية التقدمية الواسعة الإنتشار في الشارع العراقي آنذاك . إفترقنا 3 أعوام. وعدنا لتلتقي في السنة الدراسية 1963-1964 في الصف الأول من كلية الهندسة قسم الهندسة المدنية. وشاءت الظروف أن نكون جارين مرة أخرى في حي الداوودي (محلة الأندلس الآن)، وكانت زمالة وصداقة طالَت العمر كله . كانت مجموعتنا في الكلية ذات محاور عديدة بدأت بمؤيد وفهيم، وسرعان ما ضمت آخرين بحكم الدراسة والسكن المتقارب رغم إختلاف الميول والأفكار ومنهم الشهيد سامر مهدي صالح (صلاح).

سأركز هنا الحديث عن سامر الشخصية الفذة التي ستبقى ذكرها عطرة ما مر الزمان . كان سامر شخصية متميزة بكل المعاني، ففيه من جانب صفات العراقي البسيط اليقظ المتحفز وفيه من جانب آخر ذكاء فطري مذهل . تطور سامر بسرعة خارقة خلال الدراسة في كلية الهندسة وخلال فترة قياسية، وتحلى بديناميكية وبقابلية تحليل وتركيب هائلتين جعلتا قادراً وبكل سهولة على النظر بشكل شمولي للكثير من الأمور ومن زوايا كثيرة لا يراها الإنسان العادي . ورغم هذا لم يتكبر أبداً ولم يشعر أكثر الطلاب تخلفاً أنه أفضل أو أدكى منهم . سامر إنسان غير عادي بكل المقاييس . وكنت أراه يقرأ أفكاره وإستنتاجاته على شاشة خفية تستشرف النتائج حال معرفة المدخلات وعلى أساس البديهة الرياضية المعروفة إذا عرفت المقدمات عرفت التوالي.

كانت شخصية سامر شخصية جذابة طاعية . وكان تفوقه الدراسي ومستواه العلمي الراقى الذي فاقنا بكثير مصدراً مغناطيسياً للجذب لكل من يقدر العلم والمعرفة والتقدم ممزوجاً بالأيثار وحب الخير والشفافية والتواضع الجم.

وكانت تجري في الخفاء وبإحساس من جانبي، بحصول ما أستطيع أن أسميه بدايات لنشاطات سياسية في الكلية خصوصاً في السنتين الأخيرتين 1966 و1967 . وإشترنا جميعاً وبحماس في الإنتخابات الطلابية عام 1967.

لا بد من القول أن الفكر العام للمجموعة كان خارج الخط العام للفكر التقليدي ، لكن دون وضوح رؤية أو تدبير . استمر التفكير واللقاءات بعد تخرجنا وكوننا فيما بيننا في بغداد خلية للكفاح المسلح دون أي تنفيذ فعلي لأي شيء . ورغم حماسي الشخصي فإن فكرة قتل إنسان آخر كانت ولا زالت حتى اليوم

ترعيني ولا أعرف استخدام السلاح حتى الآن.

كنت على علم بنوايا مؤيد وسامر الواضحة في الإلتحاق بالكفاح المسلح ، لكنني فوجئت تماماً بكون الشهيد أزر الجعفري مع المجموعة الملتحقة ومن خلال معرفتي به في اللقاءات اليومية التي كانت تجري في المحلة كنت ألمس منه عدم الإهتمام بالأمر السياسية.

كان للأحداث جانب آخر لابد من ذكره للأمانة . فقد كان لدي شخصياً هاجس تعزز من خلال السفارة الإستطلاعية التي قمنا بها سوياً إلى أهوار العمارة (منطقة الصحين) سنة 1967، والتي إستنتجت فيها شخصياً أن الأهوار لا تصلح لحرب العصابات لكونها مناطق منعزلة ومكشوفة للاستطلاع والقصف الجوي. وإن الغريب فيها سيكون في وضع خطير وصعب وهذا بالضبط ما حصل وخسرنا الخسارة الفادحة التي لا ولن تعوض والتي ساهم فيها أكثر من عامل غير مواتي ضمن ظروف شرح بعضها العزيز مؤيد، والبعض الآخر لا نعرف تفاصيله الدقيقة حتى الآن . دعوة مخلصه لكل من يعرف معلومة ولو بسيطة عما حصل لرفاقنا الأبطال أن يساهم ولو بعد أربعين عاماً في توثيق ما حصل. للشهداء المجد والخلود الأبديين، ولكل من ساهم في إطفاء النجوم الساطعة الخزي والعار والشنار حتى الأبد. وسيبقى سامر ورفاقه أكبر بما لا يقاس من مواطننا الحزينة.

مقطع من قصيدة لى مؤرخة فى 14 أيلول 1969

الصمت يتعبه البكاء

والبدر يغرق فى حنينة

وأنا إذا غنى المغني

(زغير يا عود الصندل)

ألقاه قربي صوته بدم الهواء

ألقاه يغرق بالغناء

ويصيح بي (لا تبلي)

هرب المغنون الصغار وبقيت أكبر من مواطننا الحزينة

